مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(عبرانيين ٤: ١٤-١٦؛ ٥: ١-٦)

يا إخوةُ، اذ لنا رئيسُ كهنةٍ عظيمٌ قد اجتازَ السمواتِ، يسوعُ ابنُ اللهِ، فَلْنَتمسَّكْ بالإعترافِ* لأن ليس لنا رئيسُ كهنةٍ غيرُ قادرٍ أن يرثيَ لأَوهانِنا بل مُجرَّبٌ في كلّ شيءٍ مثلَنا ما خلا الخطيئةَ* فلنُقبِلْ اذًا بثقةٍ إلى عرشِ النعمةِ لننالَ رحمةً ونَجِدَ ثقةً للإغاثةِ في أَوانِها* فإنَّ كُلَّ رئيسِ كهنةٍ مُتَّخَذٍ منَ الناسِ يُقامُ لأجلِ الناسِ فيما هو للّهِ ليُقرِّبَ تقادِمَ وذبائحَ عن الخطايا في إمكانه أن يُشفِقَ على الذين يجهلونَ ويَضِلُّون لكونهِ هو أيضًا متلبِّسًا بالضُّعفِ* ولهذا يجبُ عليه أن يقرِّبَ عن الخطايا لأجلِ نفسِه كما يقرِّبُ لأجلِ الشعبِ* وليسَ أحدٌ يأخُذُ لنفسِهِ الكرامةَ بل مَن دعاهُ اللّهُ

رئيس الكهنة العظيم

يعلّمنا بولس الرسول كما نقرأ في رسالة اليوم، أن الرب يسوع هو رئيس الكهنة العظيم. في العهد القديم، كان رئيس الكهنة إنساناً مختاراً من الله ليقدّم الذبائح عن خطاياه وعن خطايا الشعب، مستغفراً الله وطالباً رحمته. لم يكن الله في أي وقت بحاجة لذبائح البشر، لكن تقديم الذبائح كان علامةً حسيّة وملموسة عن توبة البشر. الإنسان عندما يحب أمراً ما يسعى لإمتلاكه، والأمور التي يملكها تغدو جزءاً من حياته إذا جاز التعبير. لذلك عند تقديم الذبيحة لله، يستغني الإنسان عن شيء من ذاته ليقدّمه لله، وهكذا يتعلّم رويداً رويداً، كيف يقدّم ذاته بكليّتها لله. مَن وصل إلى هذه المرحلة يقول مع بولس الرسول: «مع المسيح صُلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ» (غلا ٢: ٢٠)، وإن كان المسيح يحيا فينا فلن يسود علينا الموت.

رئيس الكهنة المقامُ من الناس أو الكهنة الذين يعاونونه في الخدمة، هؤلاء المختارون من الله، هم بشر يضعفون كباقي الناس، ولذلك يستطيعون أن يرثوا للخطأة ويقدّموا الذبائحَ لله متضرعين بصلاةٍ حارة أمامه لينالوا مغفرة خطاياهم الخاصة وخطايا الآخرين. بعض أبنائنا المؤمنين يضلّون عندما لا يمارسون الأسرار المقدسة بحجة أن الكاهن أو رئيس الكهنة هم أناس تحت الخطيئة مثلهم. لكن تفكّروا معي في هذا الأمر: إن كان رئيس الكهنة أو الكاهن غيرَ مجرّبٍ كباقي الناس، كيف يستطيع أن يرثي لضعفات البشر أو يختبر معهم معاناتهم وآلامهم؟ كيف يستطيع أن يصلّي من أجلهم صلاةً صادقةً وحارّة إن كان لا يفهم ما يختبرونه في حياتهم الطبيعية؟ هذا لا يعني أن خادمَ الرب ليس مدعواً للقداسة وللتطهر من الأهواء، هذه دعوتنا جميعاً فكم بالأحرى مَن يلج إلى أعماق سرّ الخلاص ويخدمه. إن الكاهن هو خادمُ سرّ الخلاص، فإن كان هو منزّهٌ ولم يختبر خلاص الربِّ في حياته لا يستطيع أن يرشد الآخرين إلى خلاصهم.

عندما تجسّد ابن الله، عاش مثلنا واختبر كلَّ شيءٍ نختبره نحن ما عدا الخطيئة، فأصبح هو رئيس الكهنة العظيم. لقد أراد ابنُ الله أن يعيش

العدد ١٢/٢٠١٤
الأحد ٢٣ آذار
الأحد الثالث من الصوم
(أحد الصليب الكريم)
تذكار الشهيد في الأبرار نيكن ورفقته
اللحن السادس
إنجيل السَحَر السادس

كـمـا دَعـا هـرون* كـذلكَ المسيـحُ لـم يُـمـجّدْ نـفسَهُ ليصيرَ رئيسَ كهنةٍ بَلِ الذي قالَ لهُ أنتَ ابني وأنا اليومَ ولـدتُكَ. كما يقولُ فـي مـوضـعٍ آخـرَ أنـتَ كـاهـنٌ إلـى الأبـدِ عـلـى رِتـبَـةِ مَلكيصادَق.

الإنجيل

(مرقس ٨: ٣٤–٣٨؛ ٩: ١)

قـال الـربُّ مـن أراد أن يـتـبَـعَـني فـليكفُرْ بـنفسِهِ ويحمِلْ صليبَهُ ويتبعْني لأنَّ مَـن أراد أن يـخـلِّـصَ نـفسَهُ يُـهلكُها ومَن أهلك نـفسَهُ من أجلي ومن أجل الإنـجيل يخلّصُها* فـإنَّهُ مـاذا يـنـتـفِـعُ الانسـانُ لـو ربـحَ الـعـالَـمَ كُلَّـهُ وخَسِرَ نـفسَـهُ* أم مـاذا يُـعـطـي الانسانُ فِداءً عن نفسهِ* لانَّ مَن يستحي بي وبكلامي في هذا الجيلِ الفاسقِ الخاطئ يستحي بهِ ابنُ البشر متى أتـى فـي مـجـدِ أبـيـهِ مـع الملائكةِ القديسين* وقال لـهـم الـحـقَّ أقول لكم إنَّ قومًا من القائمين ههنا لا يذوقون الموت حتَّى يَرَوْا ملكوتَ اللّهِ قد أتى بقوَّةٍ.

ضعفنا، لا بل خضع للتجارب مثلنا، دون أن يسقط، بعدما صام أربعين يـومـاً، مـتّـخذاً طبيعتَنا بجملتها ليعطينا الخلاص الكامل. هذا الإله المتجسّد، لم يكن مثلنا بحاجة أن يقدّم ذبيحةً عن نفسه كونه بريئاً من الخطيئة. لكنه أحبّنا حباً عظيماً فـقـدّم ذاتـه ذبـيـحـةً لا عـيب فـيـهـا مـرضـيـةً لـلـه، عـلى مذبح الصليب الذي نعيّد له اليوم. لقد ارتفع ربُّنا عـلـى الصـلـيب خـارج أسوار مـديـنـة أورشـلـيـم دلالـةً عـلـى أن الخلاص أصبح الآن متاحاً لكل البشر وليس فقط لفئة معيّنة من الناس. لم يقدّم الرب شيئاً يملكه أو يخصّه كما كان يفعل باقي الناس، بل قدّم ذاته لمرة واحدة عن خطايا كلّ البشر، فأصبح هـو المقـرِّب والمقـرَّب، الـكـاهـن والـذبـيـحـة. هـذه الذبيحة السرية، ذبـيـحـة المسيـح، يـقـدّمـهـا رؤسـاء الـكـهـنـة والـكـهـنـة عـن خـطـايـاهـم وخطايا الشعب في سر الشكر. لقد صار ربنا يسوع المسيح هو نفسه سرّ خـلاصـنـا الـذي يـخـدمـه كـهـنـة العهد الجديد.

يقول الرب في إنجيل اليوم: «مَن أراد أن يـتـبـعـني فـلـيـكـفـر بـنفسه ويحمل صليبه ويتبعني، لأنّ مَن أراد أن يخلّص نفسه يهلكها ومَن أهـلك نـفسـه مـن أجـلـي ومـن أجـل الإنجيل يخلّصها» (مر ٨: ٣٤–٣٥). إن رئيس الكهنة العظيم، الربّ يسوع المسيـح، أعـطـى كـلاًّ مـنـا إمـكـانـيـة المشاركة في كهنوته، عندما دعانا إلى حـمـل الـصـلـيب. لـن يصير كـلُّ الـنـاس كـهـنـةً مـرسومين ليتمموا الأسرار في الـكـنـيـسـة، فذلك أُعطي كنعمة خاصة لبعض الناس الذين لـبّـوا الـدعـوة وعشقوا خدمة مذبح الرب. لكن بشكل عام، كلُّ واحد وكلُّ واحدة منا يستطيع، لا بل يجب أن يكون كاهناً للرب عبر تقديم ذاته يومياً ذبيحةً على صليبه الخاص، مميتاً على الصليب الأهواء المميتة، ليحيا بنعمة الله في قيامةٍ دائمة. هـكـذا نترجـم الـكـلام عـلـى بشـارة الخلاص إلى واقـــع مـــعـــاش في حياتنا وحياة مَن حولنا، فنساهم في خـلاصـنـا وخـلاص مَـن هـم حولنا، مشاركين في كهنوت رئيس كهنتنا العظيم.

قداس القدسات السابق تقديسها

خدمة البروجيزماني أي قدّاس الـقـدسـات الـسـابـق تـقـديسـهـا، هـي إحدى الخدم الليتورجية التي تقام في الـكـنـيـسـة الأرثـوذكسـيـة خـلال فترة الصـوم الأربـعـيـنـي المقدس يـومـي الأربـعـاء والجمـعـة. فبسبب طابع التوبة والحزن على الخطايا الـذي يـغـلـب عـلـى الصـوم، ولأن القداس الإلـهـي الـعـادي يغلب عليه طابع الفرح والقيامة، ولكي لا يبقى المؤمـنـون بـدون مـنـاولـة خـلال الصوم، رتب الآباء خدمة المناولة هـذه بـدل إقـامـة الـقـداس في بـحـر الأسـبـوع، وفـيـهـا تـتـمّ مـنـاولـة المؤمنين تشديداً لهم أثناء الصوم.

كاتب هذه الخدمة هو القديس غريغوريوس الذيالوغوس (الحواري أو المحاور) بابا روميه، الذي عاش في الـقـرن الـسـادس، أي قـبـل الإنشـقـاق الأليـم، والـذي تـعـيّد لـه الكنيسة في الثاني من آذار.

قبل الحديث عن هذه الخدمة تجدر الإشارة إلى أنّ كلـمـة قـدّاس تشتـقّ من القداسة والتقديس، أي تقديس القرابين المقدّمة. القداس هو الخدمة الكنسيّة التي يتمّ فيها سرّ الشكر ويتمكّن البشر من تناول جسد الرب ودمـه. من الأخطاء الشائعة

تأمل

إنّ كل أعمال المسيح ومعجزاته عظيمة جداً وإلهيّة وعجيبة. بيد أنّ أعجبها كلها صليبه الكريم. فلولاه لما بَطُلَ الموت أبداً ولا انحلّت خطيئة أبينا الأول ولا سُلب الجحيم ولا مُنحت القيامة ولا أُعطيت لنا قوّة لاحتقار الأشياء الحاضرة والموت نفسه ولا تمهَّدَ السبيل للعودة إلى السعادة القديمة ولا فُتحت أبواب الفردوس وجلسَتْ طبيعتُنا إلى ميامن الله، ولا صرنا أبناءَ الله وورثته. هذا كلّه كان بصليب ربّنا يسوع المسيح، لأنّ كل شيء قد اصطلح بالصليب. ولذا فإنّ الرسول يقول: نحن جملة من اعتمدنا في المسيح قد لبسنا المسيح (غلا ٣: ٢٧)، و«المسيح قوّة الله وحكمة الله» (١ كور ١: ٢٤). فهوذا موت المسيح – أي صليبه – قد ألبسنا حكمة الله وقوّته الأقنوميّة. والكلمة، كلمة الصليب، هو قوة الله، ذلك لأنه اقتدار الله، ولأنه انتصر على الموت وبه قد ظهر لنا.

والصليب قد أُعطي لنا سمةً على جبهتنا، على نحو ما دُفعتِ الختانة لإسرائيل. والمؤمنون يتميّزون بواسطتها من غير المؤمنين فنعرفهم. وهو ترسٌ وسلاحٌ وفوزٌ ضدَّ إبليس، وهو ختمٌ كي

إطلاق كلمة قداس على كلّ خدمة كنسيّة. من المفيد أن يميّز المرء بين القداس الإلهي والصلوات الأخرى كالغروب، صلاة السَحَر، صلاة النوم، المديح وغيرها من الخِدَم التي هي عبارة عن صلوات وتضرّعات.

بالعودة إلى قداس القدسات السابق تقديسها فإنه يختلف عن القداس الإلهي العادي الذي نشترك فيه أيام الآحاد والأعياد، فلا يوجد فيه كلام جوهري أو تقديس للقرابين، والمناولة التي تحصل خلاله هي من القرابين التي سبق تقديمها وتقديسها في قداس الأحد الفائت.

تتضمّن الخدمة في طيّاتها طابع الصوم والحثّ على التوبة. طابع التوبة هذا نلاحظه في كثرة القراءات من العهد القديم في ظلّ غياب قراءات من العهد الجديد إلاّ في الأسبوع الأول من الصوم حيث تتمّ قراءة فصل من الإنجيل المقدس. هذه القراءات من العهد القديم تأتي بمثابة أمثلة لنا تهدينا في طريق الحياة. تحيلنا هذه القراءات إلى قصص أبرار من العهد القديم إمّا أخطأوا وتابوا وإمّا عاشوا حياةً فاضلة. هؤلاء هم المثال الذي تعيده الكنيسة إلى أذهان مَن قد ضلّ الطريق. قصص هؤلاء الأبرار تشدّد من إزر المسيحي وتحثّه على التوبة. هذه التوبة التي تتشدّد بقوّة عندما يتّحد المؤمن بجسد الرب يسوع عند تناوله منه.

من ناحية الشكل، قدّاس البروجيزماني خدمة مسائيّة هي مزيجٌ من صلاة الغروب والقداس الإلهي، إضافةً إلى تضمّنه قسماً يشارك فيه الموعوظون وقسماً للمؤمنين فقط. تبدأ الخدمة بمزمور الغروب ثم تتلى أيضاً مجموعة من المزامير بعدها يتمّ ترتيل «يا رب إليك صرخت...» كما جرت العادة في صلاة الغروب. بعد الدورة الصغرى تتحوّل الخدمة لمخاطبة الموعوظين. نشير إلى أنّ الموعوظين كانوا فئة من الجماعة المسيحيّة الأولى، من المؤمنين الذين يخضعون للتبشير والتعليم قبل اقتبال سرّ المعمودية، ولكن هذه الفئة لم تعد موجودة في الكنيسة في أيامنا هذه. بالعودة إلى الخدمة، عند انتهاء طلبات الموعوظين يطلب منهم الكاهن أن يخرجوا من الكنيسة لأنّه قد جرت العادة في الكنيسة الأولى، وحكمت القوانين، بألاّ يكون في الكنيسة خلال تتميم سرّ الشكر أناسٌ لم ينالوا سرّ المعمودية. بعد خروج الموعوظين، يصلّي المؤمنون، بطلباتٍ إلى الله، من أجلهم للإستنارة والخلاص والتثبيت. تبدأ بعدها خدمة تهيئة القرابين التي سبق تقديسها في قدّاس يوم الأحد. تنقل عندها القرابين من المذبح إلى المائدة المقدّسة بصمتٍ وخشوع لتتمّ مناولة المؤمنين منها وختم الصلاة بالبركة.

أهميّة البروجيزماني تكمن في ترافق الغذاء الذي يحصل عليه المؤمن عند تناوله الجسد الإلهي مع حالة الجهاد الروحي الذي يعيشه في الصوم. هكذا يحصل المؤمن على الغذاء الروحي الذي يجب أن يسعى إليه في كلّ يومٍ من حياته وخاصة في زمن الصيام.

نشير أخيراً إلى موضوع يكثر السؤال عنه. مذ جرت العادة في كنائسنا أن تُقام خدمة قداس البروجيزماني صباحاً، يتساءل المؤمنون عن الإنقطاع عن الطعام حتى الظهيرة أو عدمه بعد المناولة. إنّ الإنسان يصوم ليتقوّى روحيًّا ويبتعد عن الخطيئة ويكون مستحقاً لتناول جسد ودم الرب عن استحقاق.

لا يمسّه مبيدُ الكلّ، كما يقول الكتاب. وهو نهوض الساقطين وسندُ الواقفين وعكّاز الضعفاء وعصا الرعاة وإرشاد المرتدّين وكمال الفائزين. وهو خلاصٌ للنفس والجسد، وتنقيةٌ من كل الشرور ومجلبةٌ لكلّ الحيرات، وإزالةُ الخطيئة ونبت القيامة وعودُ الحياة الأبدية.

إذاً يجب السجود للعود الكريم حقاً والمستحقّ الإكرام، الذي قرَّب عليه المسيح ذاته مذبوحاً لأجلنا، وقد تقدّس بلمسة الجسد والدم الأقدسين. ويجب السجود أيضاً للمسامير والحربة وثيابه، ولمساكنه التي هي المذود والمغارةُ والجلجلة وقبره الخلاصيّ المحيي ولصهيون أمّ الكنائس ولأمثالها، على ما يقول داود أبو المسيح إلهنا: «لندخل إلى مساكن الرب ولنسجد لموطئ قدميه» (مز ١٣١: ٧). والبرهان على أنه يعني بذلك الصليب، يُؤخذ مما يأتي: «قمْ أيها الرب إلى راحتك» (مز ١٣١:٨)، لأنّ القيامة تتبع الصليب. فإذا كان الحبيب يحبُّ من محبوبه بيته وسريره ولباسه، فكم بالأحرى كثيراً يجب أن نحبَّ – من إلهنا ومخلصنا – ما بواسطته صرنا مخلَّصين!

القديس يوحنا الدمشقي

بعد تناول الغذاء الأهم للجسد، الجسد والدم الإلهيّين، يرتئي كثيرون أنّ الصيام غير جائز. إنّ هذا الأمر لصائبٌ إذ لا يصوم الإنسان والعريس معه وقد تناوله واشترك في جسده. ولكن يبقى الخوف من أن يتطرّف الإنسان ويصبح تناول جسد ودم المسيح هدفه التمكّن من تناول الطعام ووقف الصوم. لذا وبما أنّ الصيام ليس إجبارياً وإنما إختيارياً للإنسان، وهو بمثابة تمرين روحي للجسد، لا ضرر في أن يستمرّ الإنسان في الإنقطاع عن الطعام حتى الظهيرة لكي يحصل على فائدةٍ روحيّة مضاعفة ولا يسقط في تهاون الجسد. أضف إلى أنّه من الممكن أن يعثر أحد الإخوة الضعيفي الإيمان حين رؤيتنا نتناول طعاماً، إمّا عن طريق الإدانة أو الإمتناع عن الصيام. لذا ما من أمرٍ ملزم ولكن فلنصم بوداعةٍ ومحبّةٍ مستفيدين خير استفادةٍ من التدبير الذي وضعته الكنيسة لبنياننا الروحي من خلال الصلوات المخصّصة لهذه الفترة وعلى رأسها البروجيزماني.

الصليب

عندما يرسم المؤمن إشارة الصليب يبشّر بغلبة المسيح على الموت وعلى الشيطان. وكما يقول الذهبي الفم: الصليب «صار للكثيرين ركن بركة عظيمة وسور أمان من كلّ خطر، وضربة قاضية للشيطان... الصليب أبطل الموت... وأنقذ المسكونة قاطبة التي كان حُكم عليها بالموت». الصليب «أعاد فتح أبواب السماء، وجعل المتخاصمين أصدقاء وأعاد طبيعتنا إلى السماء وأقامها عن يمين عرش الله».

بالصليب انكشفت محبّة الإله الثالوثي نحو الإنسان: «الصليب هو إرادة الآب، ومجد الإبن الوحيد، وابتهاج الروح القدس» على حدّ تعبير الذهبي الفم. وهو أيضاً «زينة الملائكة، أمان الكنيسة، فخر الرسل، سور القديسين، ونور المسكونة قاطبةً. لهذا السبب «يواظب المؤمنون على رسم إشارة الصليب على المكان الأبرز من جسدهم، ويرسمونه على الدوام على جباههم كما على عمود».

ويقول القديس سمعان اللاهوتي الحديث: «إنّ المسيحيين، إذ يؤمنون بالمسيح، يرسمون إشارة الصليب على أنفسهم، ليس عشوائياً، بل بكلّ انتباه وفهم ومخافة وتقوى... لأنّه بحسب الوقار الذي يكنه كلّ واحد منهم للصليب، يلمس قوّة الله ومعونته، الذي له المجد والقوّة إلى الدهر، آمين»

(الأب غريغوريوس المتوحد - الجبل المقدس).

بشارة والدة الإله

بمناسبة عيد بشارة والدة الإله تُقام خدمة صلاة الغروب عند السادسة من مساء الإثنين ٢٤ آذار وخدمة القداس الإلهي عند العاشرة من صباح الثلاثاء ٢٥ آذار في كنيسة بشارة السيدة في الأشرفية.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb